جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

البُعْـدُ المعرفي والتاريخي في كُتب البرامج الأندلسية والمغربية برنامج شيوخ الحافظ الرعيني الإشبيلي (تـ ٦٦٦هـ) وكتاب (الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة) لأبي زيد عبد الرحمن التمنارتي (تـ١٠٦٠هـ) نموذجًا

زاهر بن بدر الغسيني
أستاذ مساعد
قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس
zahir@squ.edu.om

نجاة أكريم
مدرس محاضر
وزارة التربية الوطنية
المملكة المغربية
najat.akrimprof@gmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/١١/٠٥
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٩/٠٧/١١

البُعْـدُ المعرفي والتاريخي في كُتب البرامج الأندلسية والمغربية برنامج شيوخ الحافظ الرعيني الإشبيلي (تـ ٦٦٦هـ) وكتاب (الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة) لأبي زيد عبد الرحمن التمنارتي (تـ١٠٦٠هـ) نموذجًا

زاهر بن بدر الغسيني، ونجاة أكريم

الملخص

إن المتتبع للدراسات الأندلسية والمغربية- بشقَّيها الأدبي والتاريخي - تنجلي له حقيقة شغف رجالها بتدوين تاريخهم وأدبهم؛ وفق ما أتيح لهم من إمكانات، فانتشرت في أدبهم مؤلفاتٌ جاءت انعكاسًا للرقي العلمي الذي عاشته بلادهم بمختلف طوائفها وطبقاتها من جهة، وحرية الفكر من جهة أخرى، منها: البرنامج، التقييد، الفهرسة..... ومثَّل بعضها نموذجًا للمذكرات الشخصية من زاوية، وسيرة ذاتية من زاوية أخرى، إذ كانت تُعْنى بحياتهم ومنزلتهم العلمية؛ إلا أنها لم تحظَ بعناية الدارسين والباحثين، فجاءت هذه الدراسة لتبحث في: البُعْـدُ المعرفي والتاريخي في كُتب البرامج الأندلسية والمغربية من خلال اختيار أنموذجين: برنامج شيوخ الحافظ الرعيني الإشبيلي (تـ ٦٦٦هـ) وكتاب (الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة) لأبي يزيد عبدالرحمن التمنارتي (تـ١٠٦٠هـ) نموذجًا.

الكلمات المفتاحية: البعد المعرفي، البعد التاريخي، التقييد، الفهرسة.

Epistemological and historical aspects in the Andalusian and Morrocan writings as reflected in two important works; namely "barnamaj shuyukh Al-Hafiz Al-Ra’ini Al-Eshbili " by Ali Al-Ra’ini (d. 666 AH)and " alfawayid aljimat fi 'iisnad eulum al'uma" by Abu Zaid Abdul Rahman Al-Tamnarty (d. 1060AH).

Zahir Badar Al Gheseini and Najat Akrim

Abstract:

A closer look into the Andalusian and Moroccan writings, both the literary and historical treatises that go back to that era, reveals the unmistakable passion and keen interest of their men to keep a record of their history and literature as far as the capabilities of that time allow. This unique inclination towards recordation led to a great number of writings, a matter that can be also attributed to the scientific development Andalusia witnessed at the time and the coexistence exercised between its different tribes, sects and religions, and the degree of freedom of thought tolerated. Some of the techiques Andalusians employed in maintaining their artistic and scientific production were: scheduling, cataloguing, entering..etc. In spite of the literary and historical significance of these writings, either they came in the form of memoirs or autobiographies or any other form, they received only little attention from scholars and researchers. Thus, this study attempts to fill this gap partly by examing the epistemological and historical aspects in the Andalusian and Morrocan writings as reflected in two important works; namely "barnamaj shuyukh Al-Hafiz Al-Ra’ini Al-Eshbili " by Ali Al-Ra’ini (d. 666 AH) and " alfawayid aljimat fi 'iisnad eulum al'uma" by Abu Zaid Abdul Rahman Al-Tamnarty (d. 1060AH).

Keywords: Epistemological Aspect; Historical Aspect; Entering; Cataloguing.

المقدمة

مثَّلت كتب البرامج والتراجم والفهارس قيمة علمية ومعرفية وفكرية في التاريخ الأندلسي والمغربي، إذ كانت موسوعة للمؤلف يسجل فيها "ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكرًا عنوان الكتاب واسم مؤلفه، والشيخ الذي قرأه عليه أو تحمله منه، وسنده إلى المؤلف الأول، وربما ذكر خلال ذلك المكان الذي كان موضعًا للدرس، والتاريخ الذي بدأ فيه الدراسة أو ختمها، وكانت بعض هذه البرامج تهتم اهتمامًا زائدًا بالشيوخ، وتفرد لهم جانبًا فيه حديث عنهم، وعن حياتهم ومنزلتهم العلمية، دون أن تتجاوز في ذلك القصد والاعتدال" (أيوب، ٢٠١٥).والمتتبع لكتابات الأندلسيين في فهارسهم وبرامجهم يلاحظ تنوع طرقها، وغزارةإنتاجها؛ مماشكَّل قيمة أدبية لأدبهم من جهة، وخصوصية فكرية من جهة أخرى. أما قيمتها الحضارية والسياسية؛ فتتمثل في كونها "عنصر تقارب وتواصل علمي بين المغرب والأندلس، إذ تمازجت عناصر الثقافة بينهما، فكانت حواضر المغرب تحتضن أفواج الأندلسيين الوافدين على المغرب، وأضحى الأندلس بمجالسه العلمية ومشيخته الواسعة مقصد الرحلة عند شيوخ المغرب وطلبته، فكان من نتائج ذلك ارتفاع النشاط العلمي في المغرب، وتعددت مراكزه العلمية والتعليمية، وازدهر العمل التأليفي، فشمل كتابة المصنفات الطويلة والقصيرة في مختلف العلوم، وكان انعكاس هذا التقارب العلمي بين العدوتين واضحًافي الفهرسة". (الترغي، ١٩٩٩، ٥٩٥)، (زناتي، ٢٠١٤).

ورغم القيمة العلمية والفكرية لبرامج الأندلسيين وفهارسهم؛ إلا أنها لم تحظَ باهتمام الباحثين وعنايتهم إلا ما وجدناه في مؤلَّف الدكتور هاني العمَد الموسوم بـ (كتب البرامج والفهارس الأندلسية: دراسة وتحليل)، والذي غلب عليه الجانب النظري، إذ تناول التعريف ببعض كتب التراجم والفهارس الأندلسية، والتعريف بطريقة وآلية كتابة هذه التراجم والفهارس، التي تتشابه وكتب الحديث من حيث طريقة التدوين، والأخذ عن الرواة والقراءات ومجاراة الشيوخ، ودراسة: (كتب برامج العلماء في الأندلس)، وأشارت إلى ضياع الكثير من البرامج والفهارس الأندلسية والمغربية، كما أن فهرسة ابن خير الإشبيلي (ت٥٧٥هـ) تُعد من أوسع الفهارس التي وصلتنا عن الأندلسيين؛ من حيث ضخامتها، وكثرة ما ورد فيها من أسماء الكتب.

• أولا: البعد المعرفي في: "برنامج شيوخ الحافظ علي بن محمد الرعيني الإشبيلي المعروف بابن الفخار (تـ ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م):

تُثبِت المعاجم اللغوية أن كلمة (البرنامج) فارسية الأصل، "عرَّبتها العرب واستعملتها للدلالة على معناها اللغوي في الفارسية، ودخلت حيز الاستعمال قديما، إذ وردت أكثر من مرة في موطأ الإمام مالك مقرونة بلفظ البيع، وذكر الزرقاني في شرحه على الموطأ عند قول مالك: وبيع الأعدال على البرنامج" ، (الترغي،٣٠،١٩٩٩)، مع الإشارة إلى أن: "مشيخة ومعجما وثبتا وسندا أكثر ما تكون استعمالا في المشرق.أما المغاربة والأندلسيون؛ فقد شاع لديهم استعمال كلمة الفهرس، والبرنامج" (الشنطي، ٢٠٠٧، ٦٠)، وهو ما أشار إليه (الكتاني) بقوله: يستعمله كثيرا أهل الأندلس، بمعنى الفهرسة، وبه سُمِّي الحافظ ابن مرزوق فهرسته كما في جنى الجنتين له". (الكتاني، ١٩٨٢، ٧١). ويُقصد بمصطلح (البرنامج) في المؤلفات الأدبية "الكتاب الذي يسجل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكرًا عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، والشَّيخ الذي قرأه عليه أوتحمله عنه،وسنده إلى المؤلف الأول، وربما ذكر خلال ذلك المكان الذي كان موضعا للدرس والتاريخ الذي بدأ فيه الدراسة أوختمها" . (الأهواني، ١٩٥٥، ٩١). وبدا اهتمام الأندلسيين بكتب البرامج في كثير من العبارات التي ضُمِّنت تراجمهم في كتب الطبقات، منها: "وله برنامج" "وله فهرس"، وما هذا الاهتمام لدى الأندلسيين إلا نظير رغبتهم في الالتحاق بسلسلة الأسانيد المتحملة للعلم، يقول ابن خير الإشبيلي (٥٧٥هـ): "جاء عن العلماء رحمهم الله في الحض على تقييد العلم بالأسانيد، والكراهية لما كان عاريا منها ما حدثنا به أبوبكر بن محمد....، سمعت عبدالله بن المبارك، يقول: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، وروينا أيضا عن سفيان الثوري أنه قال: الإسناد صلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟...» (كوديرا، ١٨٩٢، ٥)، ويرى أبو الحسن الرعيني السبب في أهمية تدوين التراجم إلى الترحم على الأساتذة الشيوخ بتخليد ذكرهم بذكرهم، والوقوف على ما أخذه عنهم.(شبوح، ١٩٦٢، ٥-٦).

وبمطالعة كتب البرامج الأندلسية؛ نجد بعضًا منها يورد معلومات متنوعة في طياتها، وفق الطريقة التي صاغ بها المؤلف برنامجه، إذ إن الطريقة الثانية تهتم بالترجمة للشيوخ والترجمة لهم والوقوف على حياتهم (الأهواني، ١٩٥٥، ٩٤) تمكِّن المؤلف من إيراد جملة من المعلومات، إذ يقف على الأسماء الكاملة للشيوخ، إضافة إلى تاريخ ميلادهم ووفياتهم، والمدن التي تنقلوا فيها وتلقوا فيها العلم، وكل ما يخص هؤلاء الشيوخ ويتعلق بهم، من قبيل أساتذتهم وأسانيدهم والمواد التي عكفوا على دراستها وتدريسها، ورحلاتهم سواء في طلب العلم، أو للحج، إضافة إلى تلامذتهم ومن أخذ عنهم، كما أن المؤلف تكون له مساحة كبيرة لإيراد معلومات عن خصائص العصر الذي ولد فيه الشيخ، وما ميَّزه من أحداث، وهذا ما نجده في برنامج شيوخ الرعيني للحافظ علي بن محمد الرعيني الإشبيلي، المعروف بابن الفخار (تـ ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) ، إذ يمثِّل "قيمة أدبية وتاريخية في الأدب المغربي والأندلسي، باعتباره موسوعة ضمت بين جنباتها الكثير من الأحداث التاريخية. (شبوح، ١٩٦٢). ووردت ترجمة المؤلِّف في أعلام الزركلي: "هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي، ويقال له ابن الفخار، من بني الحاج: أديب أندلسي، من الكتاب العلماء. كان أبوه فخارًا. وولد هو وتعلم في إشبيلية. واستقضي على مذهب مالك في مورو قرب إشبيلية (سنة ٦١٥هـ) وغلبت عليه الكتابة، فتنقل في الأعمال الديوانية بين غرناطة وإشبيلية ومرسية. وتوفي بمراكش" . (الزركلي، ١٩٩٧، ٣٣٣). ويورد محقق الكتاب ترجمته بقوله: "هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبد

الرحمن بن هيصم الرعيني الإشبيلي، يُعرف بابن الفخار، ويعرف سلفه قديما ببني الحاج، وكانوا نزلوا قرية تعرف ببطشة على نهر إشبيلية الأعظم، بمقربة من قلعة مبشر" (شبوح، ١٩٦٢، ١٠). وللرعيني مؤلفات أخرى -غير الكتاب قيد دراستنا-، منها: اقتفاء السنن في انتقاء أربعين من السنن، شرح الكافي لابن شريح، صلة المطمح والذخيرة.

أما قيمة الكتاب التاريخية والأدبية؛ فتتمثل في أنه قدِّم لنا خلاصة علم وتدوين كتبها الرعيني في سني عمره الأخيرة، بناءً على طلب "بعض الأصحاب العلية الجلة، المعدودين – لاعتنائهم برواية العلم ونقله - في عدول الأمة سألني أن أقيد له ما علق بالخاطر من أسماء من لقيته ورويت عنه...، فأثبت ما لم يفلته ذكري، وأوردت ما لم يرتب فيه فكري من أسماء الأشياخ الذين لقيتهم وأخذت عنهم، والإفصاح ببعض ما استفدته منهم..." (شبوح، ١٩٦٢، ٤)، والسبب الآخر أفصح عنه أبو الحسن الرعيني بنفسه، وهو الوفاء لذكرى الشيوخ، إذ يقول: "ومما حثني على إثبات ذلك واكتتابه، وحداني إلى إيراده واجتلابه ما حدثني به الشيخ الصالح، أبو الحسن علي بن أحمد الغافقي(...): يقبح بكم أن تستفيدوا منا ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا...فجدد الله رحمته ورضوانه على من أخذنا عنه من المشيخة والأعلام وجمعنا بهم وبأسلافهم في دار الإسلام بمنه..." (شبوح، ١٩٦٢، ٥). وجاء المؤلَّف بعد سنين طويلة من الأخذ والعطاء في حلقات العلم والتدريس، وهو ما ثبت حين يقدِّم شيوخه -بعد التعريف بهم- مصنَّفين وفق الطبقات الآتية:

- ذِكر من لقيته من حملة كتاب الله العزيز المتصدرين لإقرائه.
- ذِكر من لقيته وأخذت عنه ما يسر لي من مصنفات الحديث ومسنداته وكتب الفقه.
- ذِكر من لقيته من النحويين والكتاب، وحملة اللغات والآداب.
- مِمَّن أخذت عنه من المترسمين بالكتابة والشعر وحمل الأدب.
- ذِكر سائر من لقيته من المشيخة المسندين.
- فصل ضمنته بعض من تذكرت إليه ممن لقيته من شعراء العصر ممن ينزل منزلة الشيوخ.

ويُبرز الرعيني من خلال برنامجه شيوخه وأسماءهم، إذ بلغ عدد الذين ذكرهم في مؤلفه مائة واثني عشر شيخًا، وسار في منهجه على ذكر أسماء الشيوخ كاملة في الغالب، وموضع لقائه بهم، وما أخذه عنهم من مرويات، مع ذكر مؤلفاتهم وإجازاتهم العامة، كما ذكر وفياتهم، وعمد تارةً إلى ترتيب الطبقة الواحدة وفق لقائه بهم، وربط شيوخه بالأماكن التي لقيهم بها، والمدن التي رحل إليها لأجل لقائهم والأخذ عنهم، إذ تردد عليهم في مدن أندلسية عدة منها: إشبيلية، مورور، رندة، غرناطة، المرية، وجيَّان، وبذلك يقدِّم لنا معلومات عن مراكز العلم في الأندلس، التي كان يتوافد إليها طلاب العلم، كما يذكر مراكز علمية في الضفة الأخرى، إذ يسجِّل أسماء شيوخ لقيهم في مدن إفريقية: سبتة وتلمسان وبجاية..؛ ليبين استمرار الأخذ عن المنهل المشرقي، في إثبات حقيقة أن الأندلسيين ظلوا يولُّون وجوههم قبل المشرق بالأخذ عن الشيوخ المشارقة في شتى العلوم.

ورغم عدم رحيل الرعيني إلى المشرق؛ إلا أنه توصل بإجازات شيوخ من المشرق – كما يذكر في مؤلفه- في شعبان سنة ٦١٩هـ، بلغ عددهم سبعة شيوخ، وشيوخ آخرون مشارقة لم يتوصل بإجازاتهم له، إذ لم يعرف لهم طريقا، أو عمن رووا وأخذوا. والملاحظ في تراجمه المشرقية أنها مقتضبة؛ لعدم تحققه من أحوالهم، وأخبارهم، ومحتويات فهارسهم، فذكر الأسماء لمن كان غرضه الوقوف على مجرد الأسماء . (شبوح، ١٩٦٢، ١٩). واهتمَّ الرعيني بجوانب عدة في برنامجه، أهمها الجانب الأدبي الذي برز بشكل بيِّن، إذ اهتم بإيراد جملة من الإنتاجات الأدبية لمن ترجم لهم، أو مما تم تداوله في المجالس العلمية، أثناء أخذه عنهم العلم، كما برز في برنامج الرعيني الجانب المعرفي والذي اتضح بشكل جلي عند تراجمه لشيوخه، وهو ما نقف عليه من خلال هذه الدراسة. لقد كان الرُّعيني "يستحسنُ أغراضه، ويستنبل منازعه، وكتب له على بعض كتبه بخطه بـ"صاحبي ومحل ابني"؛ لفتاء سنّه، وفائقَيْ نباهة خاطره، وذكاء ذهنه، وكان يفخر بذلك (الأهواني، ١٩٥٥). ويتبن الجانب المعرفي في "برنامج شيوخ الرعيني" في جوانب عدة، إذ نجده يذكر أسماء لمشايخ بلغ عددهم ١١٢ شيخًا، حرص على أن يورد أسماءهم كاملة، كما اشتهروا بها، وبيَّن أثناء تراجمه، أنهم ينتمون إلى مناطق عدة بين الأندلس والمغرب، ويورد أماكن لقائه بهم، من قبيل إشبيلية، مورور، رندة، غرناطة، المرية، وجيان...، إضافة إلى مدن في الضفة الأخرى: سبتة وتلمسان وبجاية...، ولم يقتصر الأمر فقط على الشيوخ من الضفتين الأندلسية والمغاربية، بل تعدى إلى شيوخ من المشرق تلقى الإجازة منهم، وإن لم يقم بالترجمة لهم ترجمة كاملة، إذ وقف على أسمائهم فقط لانقطاع الاتصال بهم، ولم يقف على الكثير من أخبارهم .(شبوح، ١٩٦٢، ٢١)

كما يتبين الجانب المعرفي من خلال الطبقات التي وزَّع إليها تراجمه، إذ وزَّع شيوخه إلى طبقات وفق المرويات التي أخذها عنهم، والسمة الغالبة على هذه المرويات هي سمة الدينية واللغوية ممزوجة بما هو أدبي، ويعبِّر هذا التوزيع عن الأولويات التي تعتمد في هذه المؤلفات، إضافة إلى قيمة بعض المرويات دون غيرها، والتي تعبِّر عن اتجاهات صاحبها وما طبع به عصره، "وبالتالي فإن مجالس شيوخ الرعيني وغيره من أصحاب البرامج والمشيخات أوسع المجالات قاطبة لأخذ العلم من الشيوخ" . (صبحي، ١٩٩٣، ١١٥). ويستمر الجانب المعرفي في تلك الإشارات التاريخية التي أوردها كتابه، والتي تعبر عن تغير الزمان وكثرة الفتن التي عصفت بأقطار من الأندلس، وما كان لذلك من ضرر عليه، إذ ترك الوطن وانطلق يجوب الآفاق، يقول:"...ذهب معظم المقيد والمستفاد بالتردد والأسفار والتحول عن الأوطان، ومزقته (شذر مذر هوائج) الفتن وحوادث الزمان، راضيًا من ذلك بما قسم لي" (شبوح، ١٩٦٢، ٤). ومن إشاراته حول الفتن التي هزَّت الأندلس، وانتهت باستيلاء النصارى على بعض المدن، ما أورده عند الترجمة للدباج: "أنه توفي عن قريب في آخر حصار إشبيلية، وكان من دعائه ألا يخرج عنها، ولا يمتحن بما امتحن به من عاش بعده عند إخراج العدو لأهلها، فأجاب الله عز وجل دعاءه، وعلى

إثر وفاته كان استيلاء العدو-قصمه الله- عليها عام ٦٤٦..." (شبوح، ١٩٦٢، ٨٩). وكان الرعيني في مؤلَّفه دائم الدعاء للمدن الأندلسية التي سقطت في يد العدو، بقوله: إشبيلية رحمها الله، بلنسية أعادها الله، قرطبة أعادها الله، جامع قرطبة طهره الله، وفي هذا دليل واضح على معاصرته للأحداث، ومعاينته لسقوط هذه المعاقل، بسبب الفتن التي مزقت وطنه، فدفعته وأمثاله إلى ركوب البحر إلى الضفة الأخرى، هروبا بالنفس بعد استشعار دنو الخطر، إلا أنه لم ينْسَ وطنه الذي شب وشاب على أرضه. كما نجده يصف أحوال المدن بقوله تعليقا على قصيدة لأبي إسحاق في رثاء الأندلس: "وهي قصيدة طويلة على المائة بيت، يتحزن فيها للجزيرة ويتفجع ويرثي لها بما تكاد له الأكباد تتقطع، فرحمه الله، كيف لو رأى الآن حالها ومآلها، وكيف جاست الصليبية خلالها، ويا لها من حسرات قصفت للإسلام وأهله أضلعا، ورزيات أصم بهل الناعي وإن كان سمعا، وفجائع لم تبق بعد تصير المصرين إشبيلية وقرطبة للكفر بعد الإيمان في مسلاة مطمعا...".

• ثانيا: البعد التاريخي في كتاب: (الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة) لأبي زيد عبد الرحمن التمنارتي

اهتمَّ كثيرٌ من العلماء بنوع من التأليف أطلقوا عليه أسماء عديدة: كالبرامج والفهارس والمشيخات... وظهر بعضٌ من تأليف هذا النوع في شكل كتب تهتم بجمع الحديث وأسانيده، كمشيخة ابن طهمان التي ظهرت في القرن الثاني الهجري، إلا أنها كانت مدفوعة بحفظ الحديث خوفا عليه من الوضع، والكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم . (صبحي، ١٩٩٣، ١٨). ومع انتقال بعض هذه الكتب إلى الغرب الإسلامي؛ وإلى الأندلس تحديدًا، ثم إلى المغرب، تغيَّر طابعها، فأضحى البرنامج الكتاب الذي يُسجِّل فيه العالم ما قرأه من مؤلفات في مختلف العلوم، ذاكرًا عنوان الكتاب، واسم مؤلفه، والشيخ الذي قرأه عليه أو تحمله عنه، وسنده إلى المؤلف الأول، وربما ذكر خلال ذلك المكان الذي كان موضعا للدرس، والتاريخ الذي بدأ فيه الدراسة وختمها (الأهواني، ١٩٥٥، ٩١)، وبهذا تكون هذه المؤلفات أشبه بمقررات دراسية،تبرز مختلف المواد التي درسها المؤلف، والتي كانت قيد الدرس في عصره، وذلك من خلال إيراد مختلف مروياتهم، مع التعريف بشيوخهم، وتوثيق ذلك بالزمان والمكان . (الحسيني، ٢٠٠٧، ٧٠). وانتقل تأليف البرامج إلى المغرب الأقصى، مع تنقل طلاب العلم والعلماء بين الْعُدْوَتَيْنِ، إذ اقتدى الوسط العلمي المغربي بنظيره الأندلسي، فأنتج علماؤه في هذا المضمار الشيء الكثير. وشكَّل المغرب درعا حافظا لهذا للتأليف بعد سقوط الأندلس، وبذلك طبع هذا التأليف بصبغة خاصة تمثلت في تنويع طرق تأليفه، التي لم تقتصر على الطرق الأربع التي استنبطها الدكتور عبد العزيز الأهواني، والمتمثلة في التأليف حسب الموضوعات كفهرست ابن خير الإشبيلي، أو حسب الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم المؤلف،كبرنامج شيوخ الرعيني، أو الجمع بين الموضوعات والترجمة للشيوخ كبرنامج ابن جابر الوادي آشي (الأهواني، ١٩٥٥، ٩٦)، وطريقة أخرى يكون البرامج فيها شبيها بكتب الأمالي، لكثرة الاستطرادات والفوائد والمعلومات المختلفة، إلا أنه لا يختلف عن غيره من الفهارس الأخرى، فيما يتضمنه من مادة تتعلق بالرواية، والتعريف بالشيوخ، وعرض الأسانيد، إلا أن صاحبها يمزج ذلك بمادة أخرى تتعلق بالحديث عن حياته والتعريف بأحواله، ويُكثر من إيراد الفوائد الإخبارية والأدبية، ويعرض العديد من القضايا فيناقشها (الترغي، ١٩٩٩، ٣٧٢)، بل تعدَّتها إلى أنواع مثل: الفهرسة الجامعة، الفهرسة الانتقائية، الفهرسة الجزئية، فهرسة السند، فهرس الطبقات، فهرس الإجازة، فهرس الإجازة المضمنة، فهرس الإجازات، فهرس الاستدعاء، فهرس الفوائد، فهرسة الرحلة، الفهرسة الصوفية، فهرسة الدراية، فهرسة المسلسلات، والفهرسة النظمية . (الترغي، ١٩٩٩، ٩٦). كما نوَّع المؤلفون المغاربة في الأسماء التي حملتها هذه الكتب، من قبيل كتاب الرجال الذين لقيهم، وتسمية الشيوخ، وتسمية الموسوعات، والمرويات، وتأليف مفيد في أسماء الشيوخ، والتقييد، وجزء فيه خطوط الإجازات، أو تسمية التواليف، والدرج، والسند، والإجازة، والاستدعاء والكناشة (الترغي، ١٩٩٩، ٤٨-٥٠).

ولهذه الكتب طبيعة خاصة؛ تتمثل في كونها شاملة لمعلومات متنوعة، إذ هي كتب جامعة لما تفرق في غيرها، فتحتفظ بالأسماء الكاملة، وأنساب المترجم لهم، وكذا أسماء المؤلفات التي كانت قَيْد الدرس زمن المؤلف، مع ذكر الأسانيد التي تربط بين الأقطار، وترصد انتقال المؤلفات بين الشرق والغرب الإسلاميين، وطرق التحصيل والرحلة في طلب العلم، بالإضافة إلى معلومات أخرى تختزنها هذه المؤلفات، تتوزع بين ما هو أدبي؛ في شكل مقطوعات شعرية، وبعض القصائد الطويلة، والنصوص النثرية المتمثلة في الرسائل والإجازات العلمية، وبين ما هو معرفي الذي يبرز في التوثيق المتجلي في التراجم، وأسماء المؤلفات التي شغلت حيزًا كبيرًا في المجالس التعليمية، إضافة إلى الأحداث التاريخية التي شهدها عصر المؤلف، وبذلك تكون كتب البرامج معبرة عن الحقبة التي ألفت فيها، موازاةً وتعبيرها عن شخصية المؤلف، وسيرته العلمية.

• الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة:

ينتمي كتاب الفوائد الجمة - لأبي زيد عبد الرحمن التمنارتي- إلى كتب البرامج المؤلفة وفق الطريقة الرابعة، ذات الطبيعة الخاصة، وفُقدت نماذجها في الأندلس، إذ لم يصل منها أي برنامج يدل عليها، بل استشفها الدكتور الأهواني من تعريف لابن عبد الملك عند الترجمة لأبي الحسن بن مؤمن حيث يقول: "وقد ضمنهم برنامجه الذي سماه «بغية الراغب ومنية الطالب» وهو برنامج حفيل، أودعه فوائد كثيرة كاد يخرج بها عن حد الفهارس إلى كتب الأمالي المفيدة. وقفت على نسخة منه بخطه في ثمانية عشر جزءًا، أكثرها من نحو أربعين ورقة، واقتضبه في ثمانية أجزاء من تلك النسبة، ووقفت عليه أيضا بخطه. ورأيت نسخة أخرى من الأصل في سفرين كبيرين. ويكون هذا البرنامج في حجم جامع الترمذي أو أشف. وعرف فيه أحوال رجاله الذين روى عنهم، وذكر أخبارهم

ومناقبهم في العلم، وسير أخلاقهم. وأسند عن جمهور منهم أحاديث وحكايات وأناشيد وأدعية وطرفا مستطرفة. فجاء كثير الامتاع، منوع الفنون والأغراض. وصدره بطرف صالح من بيان فضل العلم وصناعة الحديث، وطرق الرواية، وكيفية الضبط، إلى غير ذلك من آداب علمية وفوائد حديثية نافعة" (الأهواني، ١٩٥٥، ١٠٧-١٠٨)، ومن ثمة تظهر ميزة هذه الطريقة، إذ يفتح المجال للمؤلف ليعبِّر عن ذاته بشكل أكبر، فيقوم بالترجمة لنفسه وعرض كثيرًا من مراحل حياته، وأحواله وذكرياته، ومواقف وأحداث عاشها (الترغي، ١٩٩٩، ٣٧٢)، كما تضم هذه النوعية من البرامج فوائد في مختلف الفنون والعلوم، تتراوح بين الأقوال والحكم، والحكايات والأخبار الطريفة، والنصوص الأدبية والفتاوى الفقهية، والوصفات الطبية... . (الترغي، ١٩٩٩، ٣٧٥) وتبلورت هذه الطريقة بشكل جلي في كتب البرامج المغربية، خاصة مع أبي زيد عبد الرحمن التمنارتي، في برنامج شيوخه، المعنون بالفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، وقد عمد فيه إلى الترجمة للشيوخ، وذكر مروياته عنهم، وإجازاتهم له، بالإضافة إلى ذكر العديد من الأخبار والرؤى، والتي خص لها الفصل الأخير من مؤلفه، فجاء كتابه كما ذكر الأستاذ محمد المنوني في تقديمه: "موسوعة علم، وديوان أدب، يعج بتراجم فقهاء وأدباء سوس وجزولة بالخصوص، إلى إفادات دفينة ومنوعة، وهي طريقة في التأليف لم تكن معروفة - إلا قليلا في المغرب الوسيط- قبل عصر الشرفاء. وكان أول من سار عليها أبو العباس المقري بفاس، والتمنارتي بسوس، حيث انبثقت استطراداته عن معلومات جمة ضاعفت من قيمة الكتاب (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٧)، و بذلك فإن هذا البرنامج يضم معلومات كثيرة، موزعة بين ما هو أدبي والذي برز بشكل كبير في تلك القصائد الطويلة، والمقطعات الشعرية، والتي كانت من إنتاجه الشخصي، أو انتاج علماء عصره ممن تتلمذ على أيديهم، أو مما درج طلبة العلم على ترديده في المجالس العلمية، وبين ما هو معرفي تمثل بالخصوص في ما هو توثيقي كتراجم شيوخه، والحديث عن أحداث عصره، وإيراده لمعلومات تعطي نظرة أكثر قُربًا لمجتمعه، والأحداث التي سادت فيه، وبذلك عُدَّ هذا البرنامج من أهم كتب الفهارس التي خلفها المغاربة عامة، والسوسيون خاصة، فهو "في غاية الإفادة والإجادة والسلاسة والجمع لتراجم أعلام سوس وتلك الجهات وفوائد أهلها". (الكتاني، ١٩٨٢، ٩٢٢). وبذلك تظهر أهمية برنامج الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، ضمن خزانة البرامج المغربية، باعتباره أول مؤلف من نوعه ألف في سوس، إذ لم نعرف أحدًا من السوسيين سبقه إلى كتابة فهرس بهذا الشكل، وبهذا الحجم، وهذا الشمول (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٩)، وعبَّر التمنارتي في مقدمة كتابه عن ذلك بقوله: "وهذا الفن لم أرَ له في بلادنا السوسية مع تقادم الأجيال ذكرا... فلم يكن لي في ذلك سابق أقتدي به، ولا ملفق أرتاح في الفحص عنهم في كتابه" . (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٦٧).

وعليه، يمكننا القول إن التمنارتي من أول العلماء المغاربة، الذين ألفوا في مجال الفهارس بهذه الطريقة، وبذلك ضمن لنا الاطلاع على برنامج مؤلف وفقها، إذ غيَّب الزمان نماذجها الأندلسية ولم يصلنا منها أي برنامج.

• **البعد التاريخي في الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة:**

كانت للتمنارتي معلومات كثيرة ومتنوعة عند تأليفه لهذا البرنامج، استقاها من زمنه والظروف التي صاحبته، فسمحت له الطريقة التي اختارها، بأن يتصرف في المادة التي بين يديه بحرية، وقد ضم هذا البرنامج معلومات مختلفة في الجانب التاريخي، فعُدَّ برنامج الفوائد الجمة مصدرًا تاريخيًا مهمًا، خصوصا في مجال التراجم للشيوخ، إذ أصبح مصدرًا لكل من كتب بعده عن علماء سوس، باعتمادهم على مادته في هذا الصدد، فانتفعوا به، واتخذوه مصدرًا مهمًا من مصادرهم، ومن هؤلاء على سبيل المثال: الإفراني الذي انتفع به في "نزهة الحادي" وفي "صفوة من انتشر" (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٩)، والحضيكي في تراجمه، والكتاني في "التراتيب الإدارية"، والناصري في "الاستقصا"، ومحمد المكي بن موسى الناصري في "الدرر المرصعة بأخبار أعيان صلحاء درعة"، وابن عجيبة في "أزهار البستان في طبقات الأعيان"، والمختار السوسي في "المعسول" (التمنارتي، ٢٠٠٧،٣٩، ٤٠)، وبذلك فهو يزودنا بتراجم جملة صالحة عن ثلة من الأعلام، كما يطلعنا على جملة من الأحداث التي شهدها الجنوب المغربي في القرن الحادي عشر الهجري (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٤١). كما جاء برنامج الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة معبرا عن عصره، ومواكبا لأحداثه، إذ كان شاهدًا على تغيرات وتقلبات مهمة، إذ سلَّط المؤلف الضوء عليها مع محاولة تفسيرها، فاحتفظ هذا البرنامج بمعلومات متنوعة، عن مغرب السعديين، إضافة إلى معلومات متنوعة في مجالات مختلفة وصلت إلى التمنارتي، فأوردها في سياق برنامجه من ذلك:

١. التأريخ لكوارث طبيعية اجتاحت المغرب:

عاصر التمنارتي أحداثا خطيرة شهدها قرنه، من ذلك وباء الطاعون الذي اجتاح المغرب بدء من سنة ١٠٠٥ إلى ١٠١٦، إذ أخذ الحديث عنه حيزا كبيرا من تعليقات التمنارتي، فذكره في أكثر من موضع من برنامجه، وذلك راجع لخطورة هذا الوباء الذي ذهب ضحيته العديد من الشخصيات والعلماء، كشيخه أبي عثمان سعيد بن عبد الله بن إبراهيم الجزولي السملالي العباسي (التمنارتي، ٢٠٠٧، ١٠٨)، وأبي عبد الله محمد بن يوسف الترغي الفاسي، وأبي العباس أحمد بن سعيد الشكوتي الهشتوكي (التمنارتي، ٢٠٠٧، ١١٢)، كما كانت المدن عرضة للخراب جراءه، فوصف حال المدن الكبرى وقتئذ، وحال أهلها وما أصابهم من هلع وذعر، يقول التمنارتي متحدثا عن ذلك: "ولما وقع الطاعون بالمغرب سنة خمس أو ست إلى سنة ست عشرة وألف، كان أول ما وقع بالحواضر، فأما أهل فاس، فصبروا وتلقوا الأمر بالتسليم فارتفع عنهم من سنته، ولم يعد إليهم، وأما أهل مراكش وتارودانت فتفرقوا له في البادية والجبال، فكان أكثر وقوعه بهم وانقرض جل أعيانهم حتى استولى الخراب من ذلك على الحاضرتين، ثم لم يزل يعود إليهم سنة بعد سنة وهم يفرون منه من اثني عشر

عاما." (التمنارتي، ٢٠٠٧، ١١١)
ويصف حال تارودانت أثناء الوباء الذي تتابع عليها سنوات عدة، فتفرق الناس منها، وخلت جوامعها وأسواقها، ومرافقها الدينية والدنيوية. (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٠١)، ويشير التمنارتي أيضا إلى جائحة الجراد، التي اجتاحت المغرب في عهد المنصور . (التمنارتي ،٢٠٠٧، ١١٦). كما تحدث التمنارتي في برنامجه عن فيضان الوادي الوعر الذي دمر مدينة تارودانت، إذ هدَّم "معظم أسواقها وأدوارها ومساجدها، وهلك بذلك من الأموال والأمتعة والأقوات ما لا يحصى، وسلم الله الأنفس لدخوله مع الإسفار البين حين انتبه الناس... وقع هذا السيل صبيحة يوم الأحد مفتتح ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وألف." (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٨٥)

٣. التبغ ودخوله للمغرب:
عَرَف عهد السعديين دخول التبغ للمغرب، فأرَّخ التمنارتي لزمن دخوله وانتشاره، باعتباره ظاهرة طارئة على المجتمع بقوله: "وأول ما ورد الدخان من جهة القبلة سنة ست بعد ألف مقرونا وروده بنزول الطاعون المخرب لأكثر بلاد المغرب." (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٤٧٦)، فأورد مختلف الفتاوى الشرعية التي قالت بتحريمه أو حليته، والتي أصدرها علماء سائر الأقطار، ففصل القول في تقديم سائر مساوئه، كما جمع أقوالا عدة للبرهنة علة ذلك (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٤٧٦، ٥٠٣)، ويشير في هذا الصدد إلى فتوى أحمد بابا التنبكتي الذي يقول بحلية التبغ، ووصفه بالغفلة (التمنارتي، ٢٠٠٧، ١٣٥)؛ لأنه أفتى بغير إجماع علماء الأمة كافة، فيقول عقب استفاء الترجمة له: "وبمثل هذه الغفلة، كان ـ رحمه الله ـ يفتي بحلية دخان التبغ المنتن الذي أجمع فقهاء الأمصار من الحرمين إلى بلاد جزولة أقصى بلاد السوس الأقصى على حرمته لخبثه. والجواد يكبو والسيف الصارم ينبو". (التمنارتي، ٢٠٠٧، ١٣٥)

٤. المولد النبوي:
وللمولد النبوي نصيب من حديث التمنارتي في برنامجه، إذ كانت له مكانة خاصة عند السوسيين، فأحيوا ليلته بالاجتماع، وقراءة المدائح المولدية، فيشير التمنارتي إلى ذلك، ويذكر أن أول شخصية في سوس أحيت المولد النبوي هو شيخه ابن وقاد، يقول عنه: "وهو أول من أحيا بهذه الحاضرة ليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، باجتماع الناس في منزله، وقراءة قصائد مدحه صلى الله عليه وسلم والأناشيد بها". (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٨٧)

٥. وفاة المنصور السعدي:
يذكر التمنارتي أن ممَّن قضوا في وباء الطاعون الملك السعدي المنصور الذهبي، إذ يقول: "وممن توفوا بهذا الطاعون أمير المؤمنين الملك الصالح، العادل المتفنن أبو العباس المنصور... في ربيع الأول سنة اثني عشرة وألف بفاس، ونقل منها بعد مدة إلى مراكش، ودفن إلى جنب والده المذكور رحمهما الله." (التمنارتي، ٢٠٠٧، ١١١) ويبدو أن التمنارتي تأثر كثيرًا بوفاة المنصور السعدي، فأشار في أكثر من موضع لذلك، وأسهب في وصف حال المغرب بعده، إذ تغيرت الأحوال "واضطرب الأمر، وهاجت الفتن والأهوال، وتغيرت الأحوال، وانعكست الآمال، وانقلبت البادية انقلاب الرغيف، وأقوت من الناس القوى والضعيف، طوي ما كان بها من الأمن منشورا، وعم الخوف الذي كان بالأمس كامنا مغمورا، واختل الحال، وتوزع البال، وتناهت الآلام، وبرز الحيوان الشرير من الآجام، وطاش الوقور، ونيش الحقور، ووضع النفيس، وارتفع الخسيس، وفشا العار، وخان الجار، ولبس الزمان البؤس، وجاء بالوجه العبوس، وأورد ماء الاختلاف وأنضب ماء الوجوه والائتلاف، وطأطأ الحق رأسه، وأخفى المحق رأسه، وتبرقعت الحسناء وكشفت الشوهاء، ووردت المهالك، وسدت المسالك، وعم الجزع والجوع، وتبرأ الكوع من البوع، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لعمرك ما المصيبة هدم دار ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن المصيبة فقد حر يموت بموته بشر كثير

توفي سنة ست عشرة وألف على مقربة من المائة" . (التمنارتي، ٢٠٠٧، ١٦٦).
ويقول في موضع آخر من برنامجه عن حال المغرب بعد وفاة المنصور؛ وما أصاب البلاد جرَّاء ذلك: "...فاختل بموته الأقوال، وعمت الأهوال، وسدت المسالك، ومنعت السابلة، وتتابعت الفتن، السادلة، وأنا أرفل بين ظفرها ونابها، في حلل حفظ الله وأمانه، وقراءة كتاب الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم" (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٠٤، ٣٠٥). وشهد التمنارتي الفتن التي عرفها المغرب بوفاة المنصور، إذ اختلت الموازين، وعمَّت المحن والفتن أرجاء الوطن، فتأثر بها كثيرا، فنجده يعيد نفس التعابير في مواضع عديدة من برنامجه، يقول: "وكانت وفاته بمدينة فاس، فبلغنا ذلك بفائجة تامانارت من بلاد القبلة في نحو أسبوع، وكنت هنالك أتطلع مراسم السلف، فنزل الأرض بذلك من نزلها، ونالها من الفتن والفساد ما نالها، وطاش بها الوقور، ونيش بها الحقور، ووضع الخسيس، وفشا العار، وخان الجار، ولبس الزمان البؤس، وجاء بالوجه العبوس، وأورد ماء الاختلاف، وأنضب ماء الوجوه الائتلاف، وطأطأ الحق رأسه، وأخفى المحق نفسه، وتبرقعت الحسناء، وكشفت الشوهاء، واعتمل الخبيث، واحتمل على الخبائث بالسير الحثيث، ووردت المهالك، وسدت المسالك، وعم الجوع، وتبرأ الكوع من البوع، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فيا لها من مصيبة ما أعظمها، ولمحاسن الأرض ما أحطمها" . (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٤١)، ويضيف في موضع آخر: "فرأت النفوس بذلك البلوى، وشكت وعثاء البعد والنوى، وطال من تلك الأوجاع أنينها، وإلى أوطان الأحبة حنينها" (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٤١)، خاصة وأنه يلاحظ ما يجري بأم عينه من اختلال وسلب ونهب، إذ عمَّت الفوضى البلاد، وأصبح من عادة أهل سوس "أخذ مال كل ميت وإن كان له ورثة، ويأكلون الرفاق داخل المدينة وربما قتلوه وغبروه لاختلال الحال بعد وفاة المنصور رحمه الله."
(التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٨١).

٦. الهجوم على السواحل المغربية:
تحدَّث التمنارتي عن حدث خطير ألم بالمغرب، وهو المد الاستعماري الأوربي، والهجوم على السواحل المغربية، والمتمثل في الهجوم على مدينة سلا، كما تحدث عن الانقسامات التي حدثت بالمغرب أثناء ذلك، وتخلي الأمصار عن نصرة هذه المنطقة، بعد أن استنجد أهلها بأهالي باقي المناطق ودعوهم لجهاد النصارى، إذ يقول التمنارتي: "ولما استولى شيخنا أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم رحمه الله على السوس الأقصى بعد العشرين والألف، أتاه رسول أهل مدينة سلا بكتابهم يشكون ما نزل بهم من العدو، وقرئ بالجامع الكبير بتارودانت قاعدة سوس، فأمر أيده الله أن يكتب للنواحي وقبائل السوس باستنفارهم للجهاد". (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٥٤)، وقد ضمن برنامجه هذا نص الرسالة في الجهاد، الموجهة إلى باقي الجهات بهدف جمع العدة للخروج إلى سلا، (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٤٤٩)، ومما جاء فيها: "وعندما رأوا تكالب العدو ما غلبهم أو كاد، أطلقوا في بلاد الإسلام أرسال الإغاثة والتناد، (...)، فكاتبناكم بهذا النبإ...لتذيعوا النفير بالجهاد في سائر البلاد، وتنادوا في الأسواق بأخذ الأهبة له بالطارف والتلاد، وتستنهضوا الصدور والأعجاز... فكيف والروم ـ أخزاهم الله ـ قطعوا إلى بلادكم أمواج البحار، ومدوا اليد العادية إلى أسر قرى الإسلام ومحو ما شيد بها من الآثار" . (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٤٧) وعلى إثر ذلك يذكر التمنارتي، التصدع الذي حدث في الجيوش المغربية، ورجوعها دون الخروج لنصرة مدينة سلا، يقول: "وعندما تجمعت جيوش قبائل سوس بالاستنفار، نهض بهم شيخنا للغرب نيته الغزو، ولما نزل بهم إيمي نتانوت، أتاه رسل أمير مراكش بالتريث حتى يجمع جيوش الغرب فيقع اتفاق الجميع، فرجع ولم يتم شيء من ذلك الغرض لتخاذل جرى به الدهر فنسأل الله البر الرحيم أن يلطف بالإسلام حتى لا تلحق هذه العدوة بعدوة الأندلس". (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٦٤). وفي هذه الحقبة كانت الثغور السوسية عرضة لهجمات النصارى، حيث يذكر التمنارتي أنه كان يرابط بالثغر السوسي بحصن المنكب، ويبيت في السطح ليراقب البحر، الشيء الذي يوحي أن المنطقة كانت تعيش حالة من الاستنفار، جراء الهجوم على السواحل من قبل الأوروبيين. (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٧٩)

٧. الفتن الداخلية:
نالت المدينة المغربية (تارودانت) نصيبًا من المشاكل الداخلية، إذ حوصرت من قبل عصابات العرب والبربر، يقول التمنارتي متحدثا عن ذلك: "وفي ذي قعدة سنة تسع وثلاثين وألف، حاصر بغاة العرب والبربر مدينة السوس الأقصى تارودانت، وهي آنذاك تحت إمارة الأمير أبي الحسن الجزولي، فاستباحوها إلا قصبتها، وحاصروها خمسة وعشرين يوما، وحفروا لها أسرابا تحت سورها فوجدوا قاعدة أساسها الحصى لا تنال منه الفؤوس شيئا لوثاقته فقنطوا، وبلغ خبرهم الأمير المذكور فطوى إليهم المراحل من الصحراء، ولما قارب بلاد السوس أقلعوا وهربوا عنها فورد في جيش عظيم من جزولة فأقام بها حتى أصلحها ومتنها بالعدد والجيش، ولم يتمكن من البغاة لتفرقهم في الجبال." (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٨٦). كما أشار في أكثر من موضع إلى خروج تارودانت عن حكم السعديين، واستقلال بعض الأمراء بحكمها، كأبي الحسن السملالي الذي فتح تارودانت سلما لا حربا سنة ١٠٣٩ (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٥٣٣-٥٣٤). وشهدت تارودانت في عهده ظلمًا كبيرًا جرَّاء طول يد بعض العبيد على أهلها، الشيء الذي دفع التمنارتي إلى مكاتبة أبي الحسن السملالي، داعيا إياه إلى العدل والرفق بأهل تارودانت التي بدأ أهلها يغادرونها جراء ما يمارس عليهم من ظلم (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٥٣، ٤٣٤)، ويبدو أن منطقة تارودانت كانت لها مكانة خاصة عند الملك زيدان، حيث أصدر ظهيرا يدعو فيه توقير أهلها، وعدم التعرض لهم .(التمنارتي، ٢٠٠٧، ٥٣١)

٨. حج بيت الله الحرام:
خصَّ التمنارتي الدعوة إلى حج بيت الله الحرام بالتفصيل في برنامجه، وكيف كان يتهيأ للحج في المغرب، من خلال دعوة الناس لانطلاقة الخروج له، إذ تلقى التمنارتي بصفته قاضيا كتابا من لدن أمير مراكش، يدعوه فيه إلى إخبار أهل المنطقة بموعد الحج، يقول: "وكتبنا لكم إعلاما بما نحن عليه من ذلك لتعلموا كل من تيسر عليه المسير لتلكم الأماكن الطاهرة ممن سبقت له من عند الله السعادة، ولتذيعوا أخبارنا، وتنادوا بها ليأخذ كل موفق في التهيؤ لهذا السفر المبارك، وتكاتبوا كل من نأى عنكم وقرب ممن أهل للمكاتبة والإعلام" . (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٥٩). وكتب التمنارتي ردا على هدا الخطاب وجهه إلى أمير مراكش، يوضح له فيه الإجراءات التي اتخذها لإبلاغ الناس بالحج، إذ يقول: "وأذعنا في محافل هذه الحاضرة أمره، وأمرنا بالنداء بمقتضاه في شوارعنا، ليعلم نبأه العظيم من نبأ عن مرافضنا ومصارعنا، ويطير بخبره خطار البوادي، ويحمله الرائح والغادي". (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٤٥٩)

٩. أحداث من البلد الحرام:
تحدث التمنارتي عن حال الأمة الإسلامية إبان الألفية الثانية، إذ يقول: "فإنها بعد الألف أمة غريبة، أحاطت بها من كل الجوانب أمور غريبة، أحاطت بها من كل الجوانب أمور مريبة، لا يرجى التخلص منها إلا العلي الكبير، الذي له في الخليقة حسن التدبير". (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٣٦٧). كما أرَّخ لأحداث وقعت في العالم الإسلامي، فذكر أن سيلا وقع في مكة، تناقلته ركبان الحجيج، يقول التمنارتي: "وفي منتصف صفر ورد علينا الطالب عبد الحق بن أحمد بن مسعود الأوزالي، فذكر لنا أنه لقي الأستاذ الحاج أبا بكر السجتاني في أوبته من الحرم الشريف بتاريخه، فأخبره أنه وقع بالحرم الشريف سيل هائل لم يعهد مثله قط. ولما هجم على مكة، ربا على شعابها، وزلزل دورها، فهرب الناس خاصة وعامة للمسجد الحرام ظنا منهم أنهم ينجون فهجم عليهم فيه حتى امتلأ، وبلغ باب الكعبة، ودخلها، فملأ البيت امتلاء، وفيه ركن شعب قديما، فانهد به من البيت نحو ربعه، وسقط ميزاب

الرحمة، فما أخذوه إلا من خارج مكة بعد الصحو، ومات به من الأعيان ألف ونيف، والعامة لا يحصيها العدد. وهذه مصيبة يعم حزنها سائر أقطار المسلمين ويبكي لها كل مومن مشفق من أهل الدين...". (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٢٩٤ - ٢٩٥)، وذكر هنا "أن سبب ذلك ما وقع بالحرم من سفك دماء العلماء على يد أمير جائر تحيل بمكره على قتل الأمير العادل بها من أهل البيت، وكان هذا الجائر من بني عمه. ولمَّا تغلَّب؛ قتل بمكة ثمانية عشر فقيها أعلاهم مفتيا وقاضيا فمن دونهما، فنزل بمكة الحادث المذكور." (التمنارتي، ٢٠٠٧، ٢٩٥)

إن المتتبع لبرنامج الفوائد الجمَّة في إسناد علوم الأمة ليُدرك تمام أنه ضمَّ جُمْلة من الأحداث التاريخية التي كانت لها بصمتها إمَّا في تاريخ المغرب الأقصى، وإمَّا تاريخ العالم الإسلامي، فعمل التمنارتي في برنامجه علىإثباتها، إلى جانب ترجمته لشيوخه وذكر مروياته بعين المعاصر المشاهد للأحداث، فجاء كتابه وثيقة تاريخية شاهدة على عصره، تستحق التأمل والبحث، لما تضمنته من معلومات تأريخية وسياسية مختلفة، فأزاح هذا المؤلَّف اللثام عن وجه علمي مشرق، عرفته سوس على العموم، وحاضرة تارودانت على الخصوص، والتي ساهمت في خدمة المغرب زمن السعديين.

المراجع

الإشبيلي، علي(٦٦٦هـ)، (١٩٦٢). برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق.شبوح،إبراهيم، ط٢، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق.

الإفراني، محمد (٢٠٠٤). صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق. عبد المجيد خيالي، ط١، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب.

الأهواني، عبد العزيز (١٩٥٥). كتب برامج العلماء في الأندلس، مج١، ج١، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة.

الأهواني، عبد العزيز، (١٩٥٥). "صلة الصلة لابن الزبير، والذيل والتكملة لابن عبد الملك"، منشورات مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية – مدريد.

أيوب، محمد (٢٠١٥). "البرامج والفهارس من تراثنا الإسلامي في الأندلس"، تاريخ الاسترجاع: ٢١ يناير ٢٠١٩، الرابطالإلكتروني: http://www.masralarabia.com.

الترغي، عبد الله (١٩٩٩). فهارس علماء المغرب، جامعة عبد الملك السعدي، المملكة المغربية، ط٢، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المملكة المغربية.

التمنارتي،عبد الرحمن (٢٠٠٧). الفوائد الجمة الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة، تحقيق. اليزيد الراضي، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.

الحسيني، قاسم (٢٠٠٧). الإنسان والمكان، ط١، سلا، الرباط، المملكة المغربية، مطبعة بني يزناسن.

الرسموكي (١٩٨٨). وفيات الرسموكي، تحقيق. المختار السوسي، ط١، طبع ونشر رضى عبدالوافي المختار السوسي، الرباط. المملكة المغربية مطبعة الساحل.

الزركلي، خير الدين (١٩٩٧). الأعلام، ط١٢، بيروت، دار العلم للملايين.

زناتي، أنور، ٢٠١٤، "فهارس علماء المغرب والأندلس: دراسة تحليلية"، ٢٠١٤، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، قسم الأندلس المغرب العربي، تاريخ الاسترجاع: ٢٣ أكتوبر ٢٠١٩، الرابط الإلكتروني: http://www.dar-ein.com/articles/851

السناري، يوسف، "التعريف بكتب المشيخات والأثبات والبرامج والفهارس والمعاجم"، ٢٠١٥، موقع (ملتقى أهل التفسير)، تاريخ الاسترجاع: ١١ نوفمبر ٢٠١٩، الرابط الإلكتروني: http://vb.tafsir.net

الشنطي، عصام (٢٠٠٧). أدوات تحقيق النصوص المصادر العامة، ط١، الإسماعيلية، مصر، مكتبة الإمام البخاري.

العمد، هاني (١٩٩٣). كتب البرامج والفهارس الأندلسية: دراسة وتحليل، دعم الجامعة الأردنية، المركز التقني للخدمات المطبعية.

فرانسيسكو كوديرا، (١٨٩٢). فهرست ابن خير الإشبيلي، طبعة المستشرق الإسباني، ضمن سلسلة: المكتبة الاسبانية، مدريد.

الكتاني، عبد الحي (١٩٨٢). فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق. إحسان عباس، ط٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي.